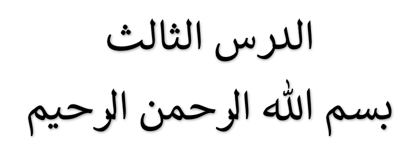


ahmedbazmool-meerathnabawee.com


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد :

فنتدارس بإذن الله تعالى **" كتاب التوحيد " لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى -** ، قال -رحمه الله تعالى - :

" كِتَابُ التَّوْحِيد

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذريات : 56]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ﴾ [النحل : 36] .

وَقَوْلُهُ : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ ﴾ [الإسراء :23] .

وَقَوْلُهُ : ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ ﴾ [النساء : 36] .

وَقَوْلُهُ : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ ﴾ الآيات [الأنعام : 151] .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه - : (مَنْ أَرَادَ أنَ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمهُ فَلْيَقْرأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ الآية** [الأنعام : 153] .

وعَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه - قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ - صلَّى الله عَليه وسَلَّم - عَلَىَ حِمَارٍ ، فَقَالَ لِي : (يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَاد ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله ؟) قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قـال : (حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ - صَلَّىَ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) أَخْرجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْن ، فيه مسائل " .

بدأ **الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى -** كتابه **" التوحيد "** كما في نسخه بدأ بـِ " بسم الله الرحمن الرحيم " ، والبِدء بِـ " بسم الله الرحمن الرحيم " اقتداءً بالقرآن حيث يُبدأ في كل سورةٍ في أولها بِـ" بسم الله الرحمن الرحيم " إلَّا سورة التوبة ، ولِما جاء عن بعض السلف أنهم بدأوا بِـ " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وأما حديث **(كُل أمرٍ ذِي بَال لَا يُبدَأ فِيه بِبسم الله فهو أبتَر - أي مقطوع - فَهو أجْذَم)** وفي لفظٍ : **(كُل أمرٍ لَا يُبدَأ فِيه بِحمدِ الله)** ؛ فهو حديثٍ ضعيف كما بينه الألباني -رحمه الله تعالى - وغيره من أهل الحديث ؛ ولكن الابتداء **ببسم الله** - كما سبق - اقتداءً بالقرآن وبما جاء في الآثار عن السلف -رضوان الله عليهم - .

وقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم " ؛ أي ابتدائي بِـ" بسم الله الرحمن الرحيم " ، أو أبتدئ بِـ "بسم الله الرحمن الرحيم " .

يقال أو ذكر بعض شرَّاح الكتاب أن في بعض نسخ **" كتاب التوحيد "** بعد " بسم الله الرحمن الرحيم " " الحمد لله والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - " ، وفي النسخ الأخرى لا توجد " الحمد لله ... إلى آخره " ، ولكن ذكر **الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب** أنه رآها - أي الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - بخط **شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** .

وعلى كلٍّ **شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى -** قال : - " **كتاب التوحيد** " - ، قال -رحمه الله تعالى - : **" كِتَاَبُ التَّوْحِيد**
وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ الآيات [الذريات : 56] " .

وكأنه قال هذا الكتاب - **كتاب التوحيد** - مختصٌّ بتوحيد العبادة ؛ بتوحيد الألوهية ، بإفراد الله - عز وجل - بأفعال العباد ؛ لأن هذه الآيات وهذه الأحاديث دلت على التوحيد الذي اهتم به **شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** ، وإن كان - رحمه الله تعالى - كما سيأتينا - ذكر بعض الجوانب المتعلقة بتوحيد الربوبية

وبعض الجوانب المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات ، إلَّا أن هذا الكتاب مختصٌّ بتوحيد الألوهية .

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى - لما ألَّف هذا الكتاب فيما ذكر بعض الشرَّاح أنه صنَّفه وألَّفه وهو بالبصرة ، لمَّا رحل إلى البصرة شرع في تأليف هذا الكتاب ، **لمــــــــاذا ؟**

قالوا لِما رأى من مظاهر الشرك وتفشيه وظهوره على ألسنة وأفعال بعض المسلمين .

ثم لما رجع إلى دياره راجع الكتاب وحرره وأكمله ترتيبًا وتهذيبًا ، حذفًا وإضافةً إلى آخره .

وهنا فائدة : وهي أن الإنسان إذا ألَّف أو كتب يحرص على أن يؤلِّف في أمرٍ يحتاج إليه الناس ؛ إما أن يجهلوه فيُعلِّمهم ، وإما أن يخالفوه - بمعنى يخالفوا الحق - فيبين لهم الحق من الباطل ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر ، فالتأليف الذي يكون بهذه الصورة غالبًا بعد أمر الله - عز وجل - يحصل الانتفاع .

لمــــــــاذا ؟

لحاجة الناس إليه ، وإن كان الإنسان يؤلِّف لأغراض أخرى من باب شرح ما يحتاج إلى الشرح ، أو اختصار المطول ، أو جمع الأمر الذي هو متفرق فيجمعه ، إلى آخر مقاصد التأليف ؛ ولكن لما يكون التأليف مما يحتاج إليه الناس غالبًا ما ينتفع الناس به خاصةً مع إخلاص المؤلف في كتابه .

طيب ؛ إذًا بدأ -رحمه الله تعالى - بقوله : **" كِتَابُ التَّوحِيد "**

التوحيد : ورد في الحديث لفظ **" التوحيد"** كما في حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فالتوحيد كلمة معروفةٌ شرعًا ، والمراد بها : إفراد الله - عز وجل - بأفعاله وبالعبادة وبأسمائه وصفاته ؛ وهذه هي أنواع التوحيد .

فأنواع التوحيد ثلاثة :

توحيد الربوبية : بأفعاله .
توحيد الألوهية : إفراد الله بأفعال العباد .
توحيد الأسماء والصفات : إثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذه الأقسام الثلاثة دليلها الاستقراء والتتبع لنصوص الشريعة ؛ حيث دلت على هذه الأنواع الثلاثة ، وبعض الناس قد يستنكر هذا التقسيم ويقول : " لا دليل عليه من الكتاب والسنة " ، وغالب هؤلاء المشتغلين بعلم الكلام وعلم الفلسفة وعلم المنطق والجدل أدخلوا في التوحيد تلك العلوم الفاشلة الفاسدة المنحرفة من الجدل والكلام والفلسفة والمنطق ولا يستنكرون ، فإذا أُتي لهم بأنواع التوحيد بدلائلها من الكتاب والسنة لا يرفعون بذلك رأسًا ، وهذا مما اعتاده أهل الأهواء والبدع ؛ أنهم يشتغلون بالتشغيب وبالإبطال للحق وإضلال الناس وصرفهم عن الحق .
ولذلك احرص يا عبد الله على أن تشتغل بما ينفعك ، وأن تدل الناس على الخير ، وأن تحذرهم من الشر ، وإياك أن يكون حالك كحال أهل البدع والأهواء الذين يشغبون على أهل الحق ، ويشغبون على الحق ليصرفوا الناس عن الحق أو عن هذا المتكلم حسدًا وبغضًا ، قد يكون موافقًا لهذا الحق ، ولكن حتى لا يستفيد الناس من هذا المتكلم يشغِّب عليه ، ولا شك أن هذه خصلة وشعبة يشابه فيها هؤلاء أهل الباطل ؛ فالحذر الحذر !
أما النوع الأول توحيد الربوبية : هو إفراد الله - عز وجل - بأفعاله ؛ من الخَلق والملك والتدبير .
أما النوع الثاني وهو توحيد الألوهية : فهو إفراد الله - عز وجل - بالعبادة ، أو أن تقول : إفراد الله - عز وجل - بأفعال العباد .
وأما النوع الثالث : فهو إفراد الله - عز وجل - بما له من الأسماء والصفات ، أو أن تقول أن تثبت ما أثبته الله ورسوله لنفسه وأن تنفي ما نفاه الله ورسوله عنه - سبحانه وتعالى - .

وقد اجتمعت أنواع التوحيد الثلاثة في قوله - عز وجل - : ﴿ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم : 65] ، فقوله - عز وجل - : ﴿ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ ؛ هذا توحيد الربوبية ، فالله - عز وجل - هو الخالق المالك المدبر لجميع المخلوقات للسماوات والأرض وما بينهما ، فهو - سبحانه - الرازق المحيي المُمِيت الذي بيده الأمر كله ، ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الملك : 1] ؛ فدلت هذه الآية على توحيد الربوبية في قوله - عز وجل - : ﴿ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾

طيب ؛ إذا كان الله - عز وجل - هو رب السماوات والأرض هو الخالق المدبر المالك الذي بيده كل شيء ، والذي - سبحانه - هو قادرٌ على كل شيء ؛ فهو الذي يستحق العبادة فاعبده لا تعبد غيره ولا تصرف شيئًا من العبادة لغير الله

لمـــــــاذا ؟

لأنه هو الخالق وغيره مخلوق ، لأنه هو المالك وغيره مملوك ، لأنه - سبحانه وتعالى - هو القادر وغيره مغلوبٌ على أمره ، فلا يستويان مثلًا ﴿ **فَاعْبُدْهُ** ﴾ .

وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **فَاعْبُدْهُ** ﴾ أمرٌ بعبادة الله - عز وجل - ؛ أي اعبدْ الله - عز وجل الذي اتصف بكونه ﴿ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ ، الذي اتصف بكونه - سبحانه وتعالى - ﴿ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ ؛ هذا توحيد الأسماء والصفات ، ﴿ **فَاعْبُدْهُ** ﴾ : **توحيد الألوهية والعبادة** ، ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ : توحيد الأسماء والصفات .

فتوحيد الربوبية : إفراد الله - عز وجل - بأفعاله من الخلق والملك والتدبير ، **مـــا الدليل ؟**

الدليل : قوله - تعالى - : ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ۗ ﴾ [الأعراف : 54] .
وقوله - تعالى - : ﴿ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ** ﴾ [السجدة : 5] .
وقوله : ﴿ **قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [المؤمنون : 88] .

فإذًا ؛ الله - عز وجل - هو الذي بيده الخلق والملك وبيده التدبير ، يقول الله - عز وجل - : ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [يونس : 31] ؛ إذا أثبتم أن الله - عز وجل - هو الذي يرزقكم ، وأن الله - عز وجل - هو الذي يملك السمع والأبصار ، وهو الذي يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ، وهو الذي يدبر الأمر ، أفلا تتقون بصرف العبادة لغير الله - عز وجل - ! أفلا تتقون بشرككم بالله - عز وجل - !

وأما توحيد الألوهية : فالله - عز وجل - هو المستحق له ، توحيد العبادة ؛ بأن تُصرف كل أنواع العبادة لله - عز وجل - من صلاةٍ وذبحٍ ودعاءٍ وطوافٍ وكل قربةٍ لا يُتقرب بها إلا إلى الله - عز وجل - ؛ فلا يُتقرب إلى مَلكٍ مقرب ، ولا إلى نبيٍّ مرسل ، ولا إلى ولي صالح ، ولا إلى حجر ولا مدر ولا شمس ولا بقر ولا لشيءٍ إنما يُتقرب إلى الله - عز وجل - ؛ لأنه - سبحانه وتعالى - هو المُستحِق للعبادة لأنه الخالق الرازق المدبر المالك - سبحانه وتعالى - .

يقول الله - عز وجل - : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾ **لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ** ﴾ [الأنعام :162-163] ، ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ** ﴾ ، ﴿ **لِلَّهِ** ﴾ ؛ لام الاستحقاق لا يستحقها إلا الله - عز وجل - ، ثم أكَّد هذا بنفي الشريك ﴿ **لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ** ﴾ ؛ يعني أُمرت أنا ومن اتبعني بهذا التوحيد - توحيد العبادة - ألَّا تُصرف إلا لله - عز وجل - .

ويقول الله - عز وجل - - كما سيأتي - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : 25] ،

ويقول الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : 21] .

وأما **توحيد الأسماء والصفات :** فهو إثباتُ ما أثبته الله لنفسه وأثبته رسولُه - صلى الله عليه وسلم - ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تكييفٍ ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيه .
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ ﴾ ؛ نفي ، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى : 11] ؛ إثبات .

فتوحيد الأسماء والصفات : يتضمن الإثبات والنفي ؛ إثبات ما ثبت لله - عز وجل - في الكتاب والسنة ، ونفي ما نُفيَ عن الله - عز وجل - كما جاء في الكتاب والسنة .

وتوحيد الربوبية : يقرُّ به الناس جميعًا إلا المستكبر والجاحد والظالم ، كما قال الله - عز وجل - : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [النمل : 14] .

ولذلك الكفار في آياتٍ كثيرة يقرّون بأن الله - عز وجل - هو الخالق وأنه هو الله وهو الرب وأنه - سبحانه وتعالى - هو الذي خلق السماوات والأرض ؛ كما قال - عز وجل - : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف الآية 9] ، وغير ذلك من الآيات ، كما مر معنا في قوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ ﴾ [يونس الآية 31

كفار مكة يعرفون أن الله - عز وجل - هو الذي خلقهم وهو الذي رزقهم وهو الذي خلق السماوات والأرض ؛ ولكن الشياطين حرفتهم واجتالتهم عن الحنفية

السمحة وعن التوحيد فأوقعتهم في الشرك كما سيأتينا في قصة ابن عباس لما ذكر قوم نوح وكيف عبدوا الأصنام من دون الله - عز وجل - .

فهذا التوحيد المشركون مقرُّون به ولم ينكره إلا من كان مكابرًا معاندًا مع أنه في نفسه يستيقن أن الله - عز وجل - هو الربّ ؛ ولذلك يقول موسى - عليه الصلاة والسلام - يقول نبي الله موسى - عليه الصلاة والسلام - مخاطبًا فرعون : ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ** ﴾ - أي علمًا يقينيًا - ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الإسراء : 102] ؛ ولذلك السحرة الذين كانوا يعبدون فرعون لما رأوا آية موسى خروا سجدًا وقالوا : ﴿ **آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأعراف : 121] .
وأما التوحيد الذي خالفه المشركون فهو **توحيد الألوهية** - ؛ حيث صرفوا العبادات لغير الله - عز وجل - من ذبحٍ نذرٍ وطوافٍ ودعاءٍ واستغاثةٍ واستعاذةٍ إلى غير ذلك صرفوها للمخلوقين أمثالهم ، حتى كان الواحد يصنع إلهه من التمر فإذا جاع أكله ! ويصنع إلهه من الحجر والمدر ثم يأتي الكلب ويبول عليه **أي إلهٍ هذا يُعبد من دون الله ؟!!**

ولذلك الله - عز وجل - ذكر لنا كما سيأتينا مخاطبًا المشركين : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ** ۖ ﴾ [الأعراف الآية 194]

فكيف العبد يعبد العبد ؟!

وإنما العبد يعبد خالقه ومالكه ورازقه ومدبر أمره وهو الله - عز وجل - ؛ فهذا التوحيد هو الذي وقع فيه الصراع بين الأنبياء وأقوامهم وهو **توحيد الألوهية** ، وهو توحيدٌ مهم وضروري أن نتعلم ما يتعلق به ؛ ولذلك أفرده شيخ الإسلام بهذا المصنف وقد أحسن فيما جمع ورتَّب وألَّف ، حيث جمع في هذا الكتاب مسائل كثيرة لم تُجمع في كتابٍ قبله بهذه الصورة ، فسبحان الله الذي يسر له هذا التأليف بعد أكثر من ألف عام ! - ألف ومائة عام ! - والله يختص برحمته وبفضله من يشاء .

طيب ؛ إذًا هذا التوحيد هو التوحيد المهم ، أيضًا - طبعًا -

لمـــــــاذا هو المهم ؟

لوقوع المخالفة فيه ، أما توحيد الربوبية فالمشركون يقرون به ، وإقرار المشركين بتوحيد الربوبية مع صرف توحيد الألوهية لغير الله ووصفهم بكونهم مشركين كافرين خالدين مخلدين في النار دليلٌ على أن توحيد الألوهية إذا صُرف لغير الله ؛ أن العبادة لو صُرفت لغير الله لا ينفع توحيد الربوبية ، فدل على أهميته ؛ وفي هذا رد على الفرق والجماعات المختلفة وعلى رأسها جماعة الإخوان الذين يهملون توحيد الألوهية ولا يهتمون به ويجعلونه من الأمور القشور ومن الأمور التي - يعني - غير مهمة ، ويجعلون **توحيد الحاكمية** المزعوم عندهم - وهو داخلٌ ضمن توحيد الربوبية - أنه هو الذي يُكَفَّر به العباد ، كشأن الخوارج الذين خرجوا على أصحاب محمدٍ - ﷺ - .

فالحذر من هؤلاء الناس الذين يدلسون ويلبسون على المسلمين بمثل هذه الضلالات ، حيث يكفِرُّون الناس من هذه الناحية ؛ أعني من جهة **توحيد الحاكمية** زعموا !

ثم **توحيد الأسماء والصفات** ؛ وهذه فيه مؤلفات كثيرة **لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى - وابن القيم** وغيرهم ، في **" الواسطية "** ، وفي **" الحموية "** ، وفي **" التدمرية "** ، وفي كتاب ابن القيم **" الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "** ، وغيرها من الكتب من كتب أهل العلم التي أُلِّفت في باب الأسماء والصفات .

ولذلك شيخ الإسلام - محمد بن عبد الوهاب - لمَّا ركز في هذا الكتاب على توحيد الألوهية لِما سبق أن توحيد الربوبية مستلزمٌ لتوحيد الألوهية ، وأن توحيد الربوبية لا ينفعُ مع ضياعِ و فسادِ توحيد الألوهية ، وأن الأسماء والصفات قد أُلِّف فيها المؤلفات الكثيرة ، فكانت الحاجة داعية وملحة إلى جمعِ وتأليفِ كتابٍ يتعلقُ بتوحيد الألوهية .

قال : **" وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذريات : 56]**

" ؛ هذه الآية بدأ بها المصنف -رحمه الله تعالى - للدِلالة على أن الله - عز وجل - خلق الخلق من الجن والإنس لحكمةٍ عظيمة ؛ وهي عبادته ، ولذلك جاء عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ ؛ أي إلّا ليوحِّدون .

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ** ﴾ ، مَا : نافية ؛ يعني لم أخلقهم هملًا ولا عبثًا ، ولم أخلقهم إلا لعبادتي ، لتوحيدي ، لإفرادي بالعبادة ؛ والمعنى : خلقتهم ليوحدوني في العبادة .

﴿ **إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ ؛ إلا لأجل أن يعبدوني .

فالله - عز وجل - أوجد الناس والجن من العدم ؛ أوجدهم ليعبدوه - سبحانه وتعالى - وليوحدوه في العبادة ، وحَسُن الابتداء بهذه الآية ليبين أساس خلق الناس والجن والحكمة من خلقهم هي عبادته - سبحانه وتعالى - وإفراده بالعبادة ،

فكيف تُصرف العبادة لغير الله - عز وجل - ؟!

ثم أكد هذا الأمر في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ۖ ﴾ [النحل : 36] ؛ هذه الآية فيها أن الله - عز وجل - بعث في كل أمة رسولًا ، كان الأنبياء والرسل قبل نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم يُبعثون إلى أقوامهم ؛ فلوط في قومه وإبراهيم في قومه وموسى في قومه وهكذا... - صلى الله عليهم وسلم أجمعين - ، فكان يُبعث أكثر من نبي أو رسول في زمنٍ واحد كلٌّ إلى قومه ،وكلهم اتحدت دعوتهم إلى توحيد الله - عز وجل - وإن اختلفت الشرائع والعبادات ؛ ولكن الأساس واحد وهو التوحيد .

﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا** ﴾ ؛ و" **كُلّ** "من ألفاظ العموم ؛ أي كل أمةٍ أرسلنا إليهم رسولًا ، **مـــاذا يقول ؟ مـــاذا يدعوهم ؟**

﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ۖ ﴾ ، لو جاءهم الرسول بقوله : ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾ وسكت ؛ كان الواجب على الناس أن يعبدوا الله وحده لأنه خالقهم ، ولكن

أكَّد هذا أيضًا بقوله : ﴿ **وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ ؛ فلم يكتفِ بالدعوة إلى عبادة الله حتى أكَّد باجتناب الطاغوت .

فالله - عز وجل - أرسل الرسل لمـــــــاذا ؟

لإقامة الحجة على أقوامهم في بيان التوحيد اللازم لهم الواجب عليهم أن يعملوا به ، فليست قضية التوحيد قضية ثانوية أو قضية غير مهمة ، كل رسول يدعو قومه إلى التوحيد ؛ لأن الله - عز وجل - ما خلق الناس إلا لعبادته وحده لاشريك له - سبحانه وتعالى - .

﴿ **وَاجْتَنِبُوا** ﴾ ما قال : لا تعبدوا الطاغوت ! قال : ﴿ **وَاجْتَنِبُوا** ﴾؛ أي ابتعدوا عنه .

والطاغوت : كما يقول **ابن القيم الجوزية** -رحمه الله تعالى - - ، هو كل ما تجاوز به العبد حده من متبوعٍ أو معبودٍ أو مطاع ؛ يعني إن كان راضيًا بتلك العبادة .

فإن قيل : **مــــا حال الأنبياء أو الرسل أو الأولياء أو الملائكة الذين عُبدوا من دون الله - عز وجل - ؟**

كما عبدوا عيسى ، ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ** ﴾ [المائدة : 116] ما قلت لهم إلا ما أمرتني به .

فما حال من عُبد من دون الله من الأنبياء والرسل ؟

هل يوصف بكونهم طاغوت ؟

الجواب : لا ، ولكن العابد نفسه لغير الله في فعله هو يوصف بذلك ، أو أنه في الحقيقة عَبدَ الطاغوت وهو الشيطان ، والأنبياء والرسل برآء من ذلك ؛ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾.

فلا يوصف أولئك الرسل والأنبياء - صلوات ربي وسلامه عليهم - بأنهم الطاغوت ، ولكن العابد نفسه أو أن ما عبدوه هو الشيطان وتصوَّر لهم في صورة هؤلاء الأنبياء والرسل أو نحو ذلك وخدعهم بذلك .

فدلت الآية على أنّ التوحيد لا بد فيه من **أمرين** :

الأول : إفراد الله بالعبادة ؛ إفراد الله - عز وجل - بالعبادة ؛ ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾ .

والثاني : اجتناب الشرك والطاغوت وكل ما يُعبَد من دون الله - عز وجل - ؛ ﴿ **وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ۖ ﴾ .

ولعلي أقف هنا عند هذه الآية ونكمل - إن شاء الله - في اللقاء القادم ما يتعلق ببقية الآيات .

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

